خطيب جمعة همدان : يجب علينا أن نوحد صفوفنا

قال ممثل الولي الفقيه، خطيب جمعة همدان (غرب ايران)، "حجة الاسلام حبيب الله شعباني" : يجب علينا أن نوحد صفوفنا فقد شهدنا هذا العام بعض الأعمال اللاعقلانية التي أدانها جميع المجتمعات الإسلامية؛ مؤكدا على ضرورة إدانة هذه السلوكيات الشنيعة.

جاء ذلك في مقال قدمه "حجة الاسلام شعباني" خلال المؤتمر الافتراضي الدولي الـ 37 للوحدة الاسلامية؛ موجها الشكر التقدير الى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلاميه على دعوته بالمشاركه في هذا الموتمر.

وفي ما يلي نص المقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

يرى القرآن الكريم والروايات الإسلامية أن العدل هو شرط حركة المجتمع وحركيته وأساس الخلقة جمعاء ويقول: بِالْعَدْلِ قامَتِ السَّماواتُ وَ الاَرْض.ومن جانب آخر،ترى الشريعة الإسلامية أنّ أساس

العلاقات البشرية وقوام المجتمعات الإنسانية هو العدل والعدالة.فإرادة الشارع المقدس هي استتباب العدل والعدالة في المجتمع، سواء في ما يتعلق بالأحكام الفردية أو الأحكام الإجتماعية. أنّ التعاليم الدينية والتشريع الإلهي عند سنّ القوانين وتحديد الحلال والحرام يأخذ العدالة بعين الإعتبار وينظر إلى الأمور من زاوية العدالة، بغض النظر عن ما إذا كانت من قوّة العقل ومن قوّة الشرع، فاعتقادنا هو أن هذه التعاليم تسعى لاستتباب العدالة.

فقد طُرحت هذه التعاليم حول قضية العدالة، إذ يقول الله تعالى:«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» هذا ما أمر به ربّ العالمين صراحة وكل من يؤمن بالقرآن الكريم يجب أن يكون جميع سلوكه وتعامله على أساس العدل والعدالة؛ لأنّ هذا ما أمر به الله بكل صراحة ويجب أن يكون سلوكنا في الإطار الذي حدده الله لنا.

ومن المواضع التي يجب أن نتخذ فيها العدالة بعين الإعتبار ونؤطر سلوكنا في إطار العدل هي العلاقات بين الدول الإسلامية وسلوك الدول الإسلامية، وتعاملها السياسي، والثقافي والمجالات الأخرى التي يجب أن تندرج كلها في إطار العدل وتنطلق من منطلقه. وكما تعلمون لكي نستوعب معنى العدالة يجب معرفة الحق وتمييزه عن الباطل.

فعندما أراد علي (ع) أن يقدم تعريفاً للعدالة أخذ جميع الأمور بعين الإعتبار وقدّم تعريفاً مفعم بالعقلانية من للعدل وقال العدل هو "اعطاءُ كلِّ ذى حقٍّ حقَّه"هذا يعني إن كانت تعاملاتنا وسلوكنا قائم على أساس الحق فهو سلوك عادل؛ ولكن إذا لا سمح الله لم يتلائم مع الحق وكان سلوك الدول الإسلامي وسلوك علماء الدول الإسلامية وكل أوجه الحياة لم تكن قائمة على أساس الحق فهي سلوكيات ظالمة. لهذا تحديد الحق وتحديد إطاره وتمييزه أمر بالغ الأهمية. فأحدى المحاور التي كان من المقرر أن يتحدث حولها الأعزاء في هذا المؤتمر هي مسألة السلام العادل والحرب العادل.

فلكي نحدد الأطر ونعرف الحدود التي يجب أن نضعها لسلوك الدول الإسلامية والحكومات الإسلامية في تعاملها مع العالم، لابد من بلورة تعريف محدد للحق ومعناه. إذن لابد من تحديد معنى الحق ورسم حدود واضحة الملامح لهذا الركن الأساس في الحياة؛ وليس أمامنا طريق أوضح وأشمل وأصوب من الطريق الذي حدده لنا القرآن والسنة النبوية لتعريف الحق ومعرفته. إذن لابد من الرجوع إلى الكتاب والسنة لمعرفته.

فهذا التحديد والتعريف -الذي يمكن أن يتعرض للتزوير- يجب أن يكون وفقاً لما ورد في القرآن والروايات الشريفة. فقد أشير هنا إلى بعض الآيات الكريمة لكي نعرف أن الحق من وجهة نظر الإسلام أهو حرب أم سلام؟

ومن بين الآيات المتعلقة بهذا الموضوع هي قوله تعالى: "وَقُلْنَا اهْبِطُوا وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ". فالقرآن الكريم وتحديداً في سورة البقرة يتحدث عن بدء الخلق وقصة النبي آدم وإبليس التي تؤدي إلى سقوط ابليس والنبي آدم والتي قدم منها المفسرون تفاسير مختلفة،

تتحدث عن السقوط ونزول شأن آدم واستعداء أبناء آدم. فقد يقول في موضع آخر: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ"

قد يُخيّل إلى الفرد أنّ هناك علاقة بين الهبوط والعداوة بغض النظر عن أيهما السبب وأيهما المسبب. فهذا التلازم قابل للفهم، والمجتمع الذي يتعرض للتحلل الأخلاقي، سوف يستشري فيه العداء، والمجتمع الذي استشرى فيه التحلل والعداء سيتعرض إلى الإنهيار وكل منهما يؤثر على الآخر. وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع البشري إذا استفحل فيه العداء والصراع والنزاع، فإنّه سيهبط لأدنى مستوى. إذن لماذا جاء الدين ولماذا نزل الوحي؟ لكي يخرجنا من هذا السقوط وهذا معنى قوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً. فيأتي الهدى بعدما تعرض المجتمع إلى السقوط. وهذا نفهمه من قوله:وقُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً.

عندما تطرح مسألة الهداية الإلهية فالمقصود هو الدين الإلهي الذي نزل لهداية البشر. فهذه الهداية هي لإنقاذ البشر من السقوط والإنزلاق في الهاوية؛ ولكي ينمو الإنسان في المجتمع البشري ويرتقي سلّم التعالى والتسامي يجب أن يتمسّك بهذه التعاليم والأحكام التي أنزلها الوحي. فقد يقول هذا الوحي: ثمَ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ.

إنّ الإيمان والعمل الصالح اللذان يعودان إلى الدين بشكل أو بآخر هما كفيلان بإخراج الإنسان من الدرك الأسفل والإرتقاء به إلى أعالي المجد والسؤدد. وإن أمعن الرائي النظر فسوف يرى أنّ الإسلام، على مرّ العصور والتعاقب الأزمان لم يكن بادئ الحرب ولم يخطو الخطوة الأولى نحو الحرب والعداء.

فقد يقول القرآن حول قصة الأخوين هابيل وقابيل (ع: لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقتُلَني ما أَنا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيكَ لِأَقتُلَكَ. فعندما يتحدث القرآن عن قصة هذين الأخوين بنقطة إنطلاق التاريخ وظهور جبهة الحق وجبهة الباطل، يقول أن من بدأ الحرب هو قابيل، وهابيل هو من يدّعي أنّه لا التطاول على أخيه ويقول: ....إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمينَ. إذن من يخاف الله لا يتطاول على أحد ولا يقتل.

وهذا ما ورد في نص القرآن بكل وضوح في قصة هابيل (ع)دعونا نتقدم في التاريخ لكي نشير إلى بعض حالات الصراع بين الحق والباطل لكي نعرف من أين بدأ الصراع والحرب. تقول لنا الروايات التاريخية أنّ الحرب بدأ على يد الباطل؛ وهذا نستشفه من قوله تعالى: "كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ" فعندما اختار الله النبي موسى (ع) نبياً ورسولاً لكي يدعو فرعون إلى الله، يقول له: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" النبي موسى يريد أن يسير نحو من يدعي الربوبية، يريد أن يذهب نحو الطاغية فرعون.

الأصل الأول في الهداية لم يكن الصراع والحرب. إنما الأصل الأول هو القول اللين حتى عندما يتعلق الأمر بفرعون. فهذا القول اللين نصيحة الله تعالى لموسى (ع)، فلا شك أنّ الأمر عندما يتعلق بالهداية والسلام والإخاء، فلم يكن الأصل والخطوة الأولى الحرب والصراع والتهديد والوعيد. وإنما الأصل في كل العلاقات

البشرية هو القول اللين. نعم، عندما لا يترك القول اللين أثراً في القلوب الصُلبة والمتحجّرة، فإنّ الله تعالى لديه عدّة نيلات وليس نيل واحد لإغراق فرعون وطاغيته. لكن امر الله تعالى لا يتجاوز الحد الوسط والتعادل بين الشدة واللين فيُنزل عذابه على قدر كفران بعض العباد.

نعُد إلى المجتمع الإسلامي لكي أروي لكم حدثاً تاريخياً فقد طال حديثي ولا أريد المزيد من الإطالة.أريد الحديث عن الصراع الذي دار بين أميرالمؤمنين وبين معاوية...

من المسلمات التاريخية القارّة لدى المسلمين هو أن الإمام علي كان في صراع مع معاوية في الشام حول ولايته على الشام. فعندما صار الإمام خليفة للمسلمين، عمل مثلما عمل الخلفاء من قبله وبما أنّ المجتمع الإسلامي خوّله إختيارات واسعة فقد كان من حقه اختيار الولاة، والعمّال والحكام، وهنا كان بينه وبين معاوية صراعاً أفضى إلى حرب صفين. فقد كان بعض مقاتلي جيش الإمام يشمتون بعدوّهم فمنعهم الإمام من الشماتة بأعداءه وقال لهم إن كنتم تريدون الحديث فلا تشمتوا ولا تتفوّهوا بما لا يليق بالمؤمن بل قولوا "اللهم إحقن دماءنا ودماءهم".

نعلم أنّ الخلاف العميق بين الإمام علي (ع) ومعاوية تمخض عن نظرة خاصة من الإمام تجاه معاوية، لكن أهل الشام كانت لديهم وفي حالات عديدة، أحقاد تجاه الإمام وكانت نظرتهم تجاهه نظرة سلبية. لكن الإمام كان يقول: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأمر أصحابه بتكرار هذا القول والإلتزام به، كما كان يأمرهم بالقول: وأصلح ذات بيننا وبينهم.

هذه هي الأمة الإسلامية؛ فرغم الخلاف بين أهل الشام وأهل العراق، والصراع الفكري بينهما والذي قد يفضي إلى ظهور تكفيريين، لكن نرى كيف كان الإمام يدعو لحقن الدماء ويأمر به ويكرر قوله: اللهم اصلح ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ. شاهدوا كيف يدعو لهدايتهم. فإن كنتم تعتقدون بضلالة الآخر، عليكم أن تدعو له بالهداية.

لاحضوا إن أميرالمؤمنين لم يبدأ الحرب، تماماً مثلما لم يبدأ ابنه شهيد كربلاء الإمام الحسين (ع) الحرب في عاشوراء ولم يواجه جيش ابن زياد. فعلى الرغم من أن الجهة المقابلة خليفة من طراز يزيد ولم يعترف الإمام بخلافته، بيد أنّه لم يبدأ الحرب ولم ير الحرب ضده حرباً مشروعة بل هي من وجهة نظر الإمام الحسين (ع) غير شرعية ولهذا لم يبدأ الإمام الحرب بل العدو هو من أطلق شرارتها.

الحرب والسلام قائمان شروط وقوانين عادلة ويمكن تحديد العدالة من خلال الحق. يبدو أن الحق في التعامل الإنساني هو السلام. وما يمكن أن نستشفه من الآيات الكريمة والروايات الشريفة هو أن مبدأ الحرب والسلام هو السعي لتحقيق العدل والعدالة. كما أنّ هناك جهاد إبتدائي يجب الإهتمام به. الجهاد الإبتدائي يجب عندما تظهر عقبة أمام الدعوة إلى الله وسبيل الحق ويجب إزالتها.

وهنا أيضا لا يمكن القول أنّ المجاهد هو من بدد الحرب، بل من وضع العقبة أمام الهداية وأمام الدعوة إلى الله هو من بدأ الحرب أو الصراع. ففي هذا الموضع أيضاً يمكن القول أن المسلم لم يبدأ الحرب وإنما الكافر الذي رمى حجر العثرة في سبيل الهداية هو بادئ الحرب. والجدير بالذكر أن هذا

الموضوع يتعلق بالمجتمع الكافر وأنا هنا بصدد الحديث عن المجتمع المسلم.

أوجّه سؤالاً و أدعو إلى التفكير ملياً فيه وبكل إنصاف وضمير. أيّ التعاملين والسياستين أولى باتخاذها لرفع شأن الإسلام؟ إذا تعامل المجتمع المسلم بمودّة ووحدة يعلو شأن الإسلام وينتشر كلام ا في العالم، أم إذا اتخذ سياسة العداء والصراع؟ إذا أردنا رفع شأن الإسلام والقرآن في العالم بحيث لن يجرؤ أحد على الإساءة عليه.

يجب علينا أن نوحد صفوفنا. فقد شهدنا هذا العام بعض الأعمال اللاعقلانية التي أدانتها جميع المجتمعات الإسلامية وهو ما كنا ننتظره. يجب إدانة هذه السلوكيات الشنيعة.وسؤالي الذي أودّ أن يفكر فيه الجميع هو: هل إتحاد الدول الإسلامية يعلو شأن الإسلام أم الصراع والمناوشات؟ هل الإخاء بين الأخوة الشيعة والسنّة هو السبيل لرفع شأن الإسلام أم عداءهم؟ ألم تدع التعاليم النبوية على التأكيد على القواسم المشتركة والإتحاد؟

يبدو أن الرد على سؤالي لا يحتاج إلى تفكير طويل إذا عُرض على أصحاب الضمائر الطاهرة كضمائر الحضور الكرام.